نقد الزجّاج للقراءات القرآنية في كتابه معاني القرآن وإعرابه

أ. م. د. جاسم محمد سهيل
قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة الأنبار

من الأقوال الثابتة في القراءات القرآنية: ((أنّ القراءة سُنّة مُتَّبعة)) [١]، بمعنى: إنّها مروية عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، فلا يجوز لقارئ أن يخترع أو يبتدع قراءة ليست مروية مسندة بحجة إنّه يختار وإن كانت هي الأقيس في العربية ((لأنّ القراءة لا تُبتدع على وجه يجوز، وإنّما سبيل القراءة إتباع مَن تقدم)) [٢]، وقد ذكر الزجّاج [٣] (ت ٣١١ هـ) هذا القول في أكثر من موضع من كتابه (معاني القرآن واعرابه) [٤].

وكان الأصل أن يحمي هذا القول (القراءات) من أن يُتعرض لها بنقد أو تخطئة. لكننا نجد كثيراً من العلماء تجرأوا على القراءات وأخضعوها للنقد على نحو ما يفعلون بسائر الكلام.

ومن هؤلاء العلماء الزجّاج إذ نقد بعض هذه القراءات في كتابه (معاني القرآن واعرابه).

فوصم هذه القراءات باللحن [٥] والخطأ [٦] والغلط [٧] والضعف [٨] والرداءة [٩]. وقال عن بعض القراءات إنها لغة من لا يُلتفت إليه ولا يتشاغل عنه [١٠] ولا يحب أن يُقرأ ببعض القراءات [١١] ولا مخرج لبعضها عنده في العربية [١٢].

وقد طال هذا النقد كل القراءات المتواترة والشاذة، إذ خطّأ الزجّاج أغلب القراء السبعة فضلاً عن بقية القرّاء.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١١/١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٨/٢.

(٣) هو: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، عالم في اللغة والنحو والتفسير، أخذ عن المبرد وعنه أخذ أبو علي الفارسي، توفي سنة (٣١١ هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين ١١١، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٤١٠/١.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٤٣/١، ٢٩٠/١، ٤٠٤/٤.

(٥) المصدر نفسه ٤٠٣/٣، ٢٧٥/٤.

(٦) المصدر نفسه ٣٩٨/١، ٣٢١/٢.

(٧) المصدر نفسه ١١١/١، ٤٣٢/١.

(٨) المصدر نفسه ١٨٠/٢.

(٩) المصدر نفسه ١٥٩/٣.

(١٠) المصدر نفسه ٤٠/١.

(١١) المصدر نفسه ١٧٢/٢.

(١٢) المصدر نفسه ١٠٤/٥.

وسأضع بين يدي البحث أمثلة تؤكد نقد الزجّاج للقراءات القرآنية في كتابه (معاني القرآن وإعرابه) مرتبة حسب ورودها في المصحف.

١- قرأ الحسن البصري وزيد بن علي – رضي الله عنهم –: ((الحمدِ للهِ)) بكسر دال (الحمد) (١) في قوله تعالى: الحمدُ للهِ ربّ العالمين ﴿ (٢).

لقد ردَّ الزجّاج هذه القراءة ووصفها بأنها لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه (٣)، وقال وقال عنها أيضاً: ((وقولهم: ((الحمدِ للهِ)) من أعظم الخطأ)) (٤).

ولا حقَّ للزجّاج في ردّ هذه القراءة ووصفها بهذا الوصف؛ لأنها جاءت على مظهر من مظاهر اللغة البدوية ألا وهو الاتباع.

قال النّحاس معللاً هذا الاتباع: ((فأمّا اللغة في الكسر فإنّ هذه اللفظة تكثر في كلام الناس، والضم ثقيل ولاسيما إذا كانت بعده كسرة، فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شيءٍ واحد))(٥). وقال ابن خالويه: ((وذلك إن الدال مضمومة وبعدها لام الإضافة مكسورة، فكرهوا أن يخرجوا من ضم إلى كسر فاتبعوا الكسر الكسر)) (٦).

وقد عزا أبو حيان هذه القراءة التي تتمثل فيها ظاهرة الاتباع إلى أزد شنؤة ونقل عن الزمخشري إنّها لغة ضعيفة ثمّ عقّب على ذلك قائلاً: ((وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة، وقد نقل إنها لغة أزد شنؤة فلا ينبغي أن يُخطّأ القارئ بها ولا يُغلط)) (٧).

٢- قرأ أبو جعفر المدني والأعمش: ((للملائكةُ اسجدوا)) بضم التاء (٨) في قوله تعالى: ﴿ وإذ قُلنا للملائكةِ اسجدوا ﴿ (٩).

غلّط الزجّاج هذه القراءة، فقال: ((قرأت القراء ((للملائكةِ اسجدوا)) بالكسر، وقرأ أبو جعفر المدني وحده ((للملائكةُ اسجدوا)) بالضم. وأبو جعفر من جلّة أهل المدينة، وأهل الثبت في القراءة إلا إنّه غلط في هذا الحرف؛ لأنّ الملائكة في موضع خفض فلا يجوز أن يرفع المخفوض ولكنّه شبّه تاء

(١) المحتسب ٣٧/١، والبحر المحيط ١٨/١، والنشر في القراءات العشر ٤٧/١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤٥/١.

(٤) المصدر نفسه ٢٣٣/١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/١.

(٦) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٨.

(٧) البحر المحيط ١٥٢/١.

(٨) البحر المحيط ١٥٢/١، والنشر في القراءات العشر ٢١٠/٢-٢١١.

(٩) سورة البقرة، من الآية: ٣٤.

التأنيث بكسر ألف الوصل لأنكَ إذا ابتدأت قلت اسجدوا. وليس ينبغي أن يُقرأ القرآن بتوهم غير الصواب)) (١).

ولم تلق هذه القراءة قبولاً عند بعض العلماء فهي ضعيفة عن ابن جني والزمخشري والعكبري، قال ابن جني: ((هذا ضعيفٌ عندنا جداً؛ وذلك إنّ (الملائكة) في موضع جرّ، فالتاء إذاً مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من (اسجدوا) لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً وهذا إنّما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرفاً ساكناً صحيحاً نحو قوله تعالى: □ وقالت اخرُج □ (٢))) (٣).

وقال الزمخشري: ((وقرأ أبو جعفر ((للملائكةُ اسجدوا)) بضم التاء للاتباع، ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع إلا في لغة ضعيفة)) (٤).

أما العكبري فقال: ((وهي قراءة ضعيفة جداً، وأحسن ما تُحمل عليه أن يكون الراوي لم يضبط على القارئ وذلك أن يكون القارئ أشار إلى الضم تنبيهاً على أنّ الهمزة المحذوفة مضمومة في الابتداء ولم يدرك الراوي هذه الإشارة)) (٥).

ولا حقَّ لهؤلاء العلماء في تخطئة هذه القراءة أو تضعيفها؛ لأنها قراءة صحيحة ثابتة الإسناد، قرأ بها طائفة من القرّاء منهم: أبو جعفر المدني، وهو أحد القرّاء العشرة، ولها وجه في العربية وهو الاتباع و ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل انكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عند الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين)) (٦)، فضلاً عن ذلك أنّها جاءت على لغة من لغات العرب وهي لغة (أزد شنوءة) (٧) وهي وهي من القبائل البدوية المعروفة بميلها إلى الانسجام الصوتي (٨). لذا نجد ابن الجزري ينتصر لهذه القراءة فيقول: ((إنّ أبا جعفر إمام كبير أخذ قراءته عن مثل ابن عباس وغيره كما تقدم وهو لم ينفرد بهذه

(١) معاني القرآن واعرابه ١/١١١-١١٢.

(٢) سورة يوسف، من الآية: ٧١.

(٣) المحتسب ١/٧١.

(٤) الكشاف ١/٢٧٣.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/٣٠.

(٦) النشر في القراءات العشر ١/٩.

(٧) البحر المحيط ١/١٥٢، والنشر في القراءات العشر ٢/٢١٠.

(٨) اللهجات العربية في التراث ١/٢٧٣.

القراءة بل قرأ بها غيره من السلف وقرأ بها أيضاً الأعمش، وقرأنا له بها من كتاب المبهج وغيره، وإذا ثبت مثله في لغة العرب فكيف يُنكر)) (١).

وإذا ثبت ذلك فالقواعد التي اصطلح عليها علماء العربية لا ينبغي أن تكون هي الحكم في القراءة، بل العكس هو الصحيح (٢).

٣- قرأ أبو عمرو بن العلاء: ((يغفر لكم)) بإدغام الراء في اللام (٣) في قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبونَ الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (٤).

قال الزجّاج: ((القراءة بإظهار الراء مع اللام، وزعم بعض النحويين: أنّ الراء تدغم مع اللام فيجوز (ويغفر لكم) وهذا خطأ فاحش، ولا أعلم أحداً قرأ به غير أبي عمرو بن العلاء، وأحسبُ الذين رووا عن أبي عمرو إدغام الراء في اللام غالطين. وهو خطأ في العربية؛ لأن اللام تدغم في الراء، والنون تدغم في الراء.... ولا تدغم الراء في اللام)) (٥).

ونقل ابن عصفور الاشبيلي عن سيبويه عدم إدغام الراء في اللام لئلا تذهب صفة التكرير من الراء (٦) وأبو عمرو بن العلاء أجلّ من أن يغلّط في مثل هذا فهو أحد القراء السبعة فضلاً عن أنّه إمام من أئمة البصرة في اللغة والنحو.

وقد أجاز الكسائي والفراء إدغام الراء في اللام قياساً، جاء في (الممتع في التصريف): ((وروى أبو بكر بن مجاهد عن أحمد بن يحيى عن أصحابه عن الفرّاء أنّه قال: كان أبو عمرو يروي عن العرب إدغام الراء في اللام. وقد أجازه الكسائي أيضاً، وله وُجيهٌ من القياس، وهو أنّ الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها، وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل؛ لأنّ الراء فيها تكرار فكأنه راءان، واللام قريبة من الراء، فتصير كأنك قد أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد)) (٧).

وذكر ابن الجزري: أن الراء تدغم في اللام إذا تحركت بأي حركة (٨).

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٢١٠-٢١١.

(٢) إتحاف فضلاء البش ١/٣٨٧ هامش (٢).

(٣) السبعة في القراءات ١٢١، والنشر في القراءات العشر ٢/١٢.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٣١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٨.

(٦) الممتع في التصريف ٢/٧٢٤.

(٧) المصدر نفسه ٢/٧٢٥.

(٨) النشر في القراءات العشر ١/٢٩٢.

٤- قرأ ابن مسعود وابن عباس – رضي الله عنهم – والنخعي ومجاهد والحسن وقتادة والأعمش وحمزة بجرّ ((الأرحامِ)) (١) في قوله تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ ﴾ (٢).

لقد ردَّ أغلب النحاة البصريين هذه القراءة، فوصموها حيناً بالخطأ، وحيناً آخر باللحن، وأحياناً بالقبح؛ لأنها تخالف القاعدة النحوية التي تمنع عطف الظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار إلا في ضرورة الشعر.

فالزجّاج يخطّأ هذه القراءة، فيقول: ((فأمّا الجرّ في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم)) (٣).

أمّا سيبويه والفراء فلم يخطِّئا هذه القراءة صراحة، ولم ينصّا على ذلك وإن كانا قد اجترءا عليها بوصفهما عطف على المضمر بأنه فيه قُبح (٤).

ويُشدّد المبرد على هذه القراءة فقال: ((وهذا مما لا يجوز عندنا إلاّ أن يضطر إليه شاعر))(٥)، وقال في موضع آخر: ((لو صليت خلف إمام فقرأ: ((واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ)) لأخذتُ نعلي ومضيت)) (٦).

وقال النحاس عن هذه القراءة: ((فأمّا البصريون فقال رؤساؤهم: هو لحن لا تحل القراءة به)) (٧) وإلى مثل ذلك ذهب العكبري (٨)، ووصف الزمخشري العطف في هذه القراءة بأنه ليس بسديد؛ لأنّ الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد (٩).

وخصّص ابن الانباري مسألة خاصة (١٠) حول هذه الآية الكريمة، وناقش فيها آراء الكوفيين، ودافع عن مذهب البصريين.

أما أكثر الكوفيين ويونس والأخفش وقطرب والشلوبين (١١) والرازي وابن مالك وأبو حيان

(١) السبعة في القراءات ٢٢٦، والتيسير في القراءات السبع ٩٣، والبحر المحيط ١٥٧/٣، وإتحاف فضلاء البشر ٥٠١/١.

(٢) سورة النساء، من الآية: ١.

(٣) معاني القرآن واعرابه ٦/٢.

(٤) ينظر: الكتاب ٣٨١/٢، ومعاني القرآن للفرّاء ٢٥٢/١-٢٥٣.

(٥) الكامل في اللغة والأدب ٣٩/٣.

(٦) المقتضب ١١٢/١ مقدمة المحقق.

(٧) اعراب القرآن للنحاس ٣٩٠/١.

(٨) التبيان في اعراب القرآن ١٦٥/١.

(٩) الكشاف ٤٩٣/١.

(١٠) الانصاف في مسائل الخلاف المسألة ٦٥، ٤٦٧/٢-٤٧٤.

(١١) البحر المحيط ١٤٥/٢.

وابن هشام (١) فيرون جواز عطف الظاهر على المضمر جائز (٢) وهذا هو القول المختار في هذه المسألة ذلك أنّ هذه القراءة التي أنكرها البصريون قرأ بها عدد من الصحابة والتابعين، ثمّ كانت اختيار حمزة وهو أحد القراء السبعة الذين أجمعت الأمة على تواتر قراءاتهم وصحتها، قال الرازي في تفسيره:

((والظاهر أنه (٣) لم يأتِ بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة والقياس يتضاءل عند السماع لاسيما بمثل هذه الأقيسة... والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة ببيتين مجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن)) (٤).

ودافع أبو حيان عن قراءة حمزة قائلاً: ((ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر، كان حمزة صالحاً ورعاً، ثقة في الحديث، وهو من الطبقة الثالثة، ولد سنة ثمانين فأحكم القراءات وله خمس عشرة سنة، وأمّ الناس سنة مائة، وعرض عليه القرآن من نظرائه جماعة منهم: سفيان الثوري، والحسن بن صالح، ومن تلاميذه جماعة منهم: إمام الكوفة في القراءة العربية أبو الحسن الكسائي...)) (٥).

وردّ أبو حيان رأي البصريين فقال: ((وما ذهب إليه أهل البصرة... من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار ومن اعتلالهم غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وإنه يجوز)) (٦).

وجاء في شرح ابن عقيل: ((وأمّا الضمير المجرور فلا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له... هذا مذهب الجمهور، وأجاز ذلك الكوفيون واختاره المصنف، ابن مالك، وأشار إليه بقوله:

وَعَوْدُ خافضٍ لدى عطفٍ على ضمير خفضٍ لازماً قد جُعلا

وليسَ عندي لازماً إذ قد أتى في النثر والنظم الصحيح مُثبتا)) (٧)

وبعد: فما كان للزجاج وأغلب أصحابه البصريين أن يردوا هذه القراءة أو يرفضوها، ما دامت ثابتة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بالتواتر ((وإذا ثبت شيء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فمن ردّ ذلك

(١) شرح التصريح على التوضيح ١٥١/٢-١٥٢.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة ٦٥، ٤٦٣/٢.

(٣) أي حمزة.

(٤) التفسير الكبير ١٦٤/٩.

(٥) البحر المحيط ٢٥٩/٣.

(٦) المصدر نفسه ٢٥٨/٣-٢٥٩.

(٧) شرح ابن عقيل ٢٣٩/٢.

فقد ردّ على النبي (صلى الله عليه وسلم) واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور، ولا يُقلَّدُ فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تُتلقى من النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا يشك أحد في فصاحته)) (١).

٥- قرأ أبو عمرو بن العلاء وعاصم برواية أبي بكر وحمزة ((نولهْ)) و ((نُصِلهْ)) بإسكان الهاء (٢) في قوله تعالى: ﴿ نولِّهِ ما تولى ونُصلِهِ جَهنَّم ﴾ (٣).

وهذه القراءة لا تجوز عند الزجاج، إذ قال عنها: ((فلا يجوز إسكان الهاء لأنّ الهاء حقها أن يكون معها ياء)) (٤).

ولا حقّ للزجاج في منع هذه القراءة ولاسيما وقد قرأ بها ثلاثة من القرّاء السبعة، فضلاً عن ذلك جاء تسكين الهاء المتصلة بالفعل المجزوم في عشرة مواضع، فيما يرويه عن أبي بكر عن عاصم، قال ابن مجاهد: ((واختلفوا عن عاصم في ذلك أيضاً. فقال يحيى، عن أبي بكر، عن عاصم: ((يُؤَدّه))(٥) و ((نولِّهْ))(٦) و ((فَألقَهْ)) (٧) و ((نصلهْ)) (٨) و ((يتقهْ)) (٩) و ((يَرْضهْ)) (١٠) و ((خيراً يَرهْ)) (١١) (١١) و ((شراً يَرَهْ)) (١٢) و ((أن لم يَرَهْ أحد)) (١٣) و ((يَأتْهْ مُؤمناً)) (١٤) كل ذلك بإسكان الهاء (١٥).

فالإسكان وارد في أكثر من آية وأكثر من قراءة، وهو لغة صحيحة مأثورة عن العرب فضلاً عن القرآن الكريم في أعلى قراءاته (١٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/٥.

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٣٤٤/١، والتيسير في القراءات السبع ٣٤، واتحاف فضلاء البشر ١٥٠/١، ٤٨٢.

(٣) سورة النساء، من الآية: ١١٥.

(٤) معاني القرآن واعرابه ١٠٧/٢.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٧٥.

(٦) سورة النساء، من الآية: ١١٥.

(٧) سورة النمل، من الآية: ٢٨.

(٨) سورة النساء، من الآية: ١١٥.

(٩) سورة النور، من الآية: ٥٢.

(١٠) سورة الزمر، من الآية: ٧.

(١١) سورة الزلزلة، من الآية: ٧.

(١٢) سورة الزلزلة، من الآية: ٨.

(١٣) سورة البلد، من الآية: ٧.

(١٤) سورة طه، من الآية: ٧٥.

(١٥) السبعة في القراءات ٢١٠.

(١٦) نظرية النحو القرآني ١١٠.

ولذا يردّ أبو حيان على الزجاج قائلاً: ((وما ذهب إليه أبو إسحاق من أنّ الإسكان غلط ليس بشيء، إذ هي قراءة في السبعة، وهي متواترة، وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء، فإنه عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو، ولم يكن ليذهب عنه جواز مثل ذلك، وقد أجاز ذلك الفراء، وهو إمام في النحو واللغة، وحكى ذلك لغة لبعض العرب تجزم في الوصل والقطع)) (١).

٦- قرأ نافع برواية خارجة بن مصعب (معائش) بالهمز (٢) في قوله تعالى: ﴿ وجعلنا لكم فيها فيها معايش قليلاً ما تشكرون ﴾ (٣).

خطّأ الزجّاج هذه القراءة فقال: ((وأكثر القراء على ترك الهمز في معايش، وقد رَوَوها عن نافع مهموزة، وجميع النحويين البصريين أنّ همزها خطأ، وذكروا أنّ الهمز إنما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف، فأما معايش فمن العيش، الياء أصلية، وصحيفة من الصُحُف لأنّ الياء زائدة)) (٤). ولا يعرف الزجّاج وجهاً لهذه القراءة، ولا يحبُ القراءة بها، قال الزجاج: ((فأما ما رواه نافع نافع من معائش بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أنّ لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أسْكن في معيشة فصار على لفظ صحيفة، فحمل الجمع على ذلك، وَلا أحبُّ القراءة بالهمز)) (٥).

وقد شارك كثير من العلماء الزجّاج في تخطئة هذه القراءة لأنها جاءت على غير قياس (٦).

وقد حمَّل الدكتور أحمد مكي الانصاري سيبويه أوزار العلماء الذين جاؤوا بعده، وطعنوا في هذه القراءة لأنه يزعم أن سيبويه هو الذي فتح باب الطعن على هذه القراءة. لقد ذكر الأنصاري نصّ سيبويه القائل: ((ولم يهمزوا مقاول ومعايش؛ لأنهما ليستا باسم معتلاً عليه، وإنما هو جمع مقالة ومعيشة)) (٧). (٧). ثمّ عقّب على ذلك بقوله: ((ولعلك تلحظ أن سيبويه –كعادته – وضع القاعدة التي تصطدم بالقراءة – قراءة همز معائش مقاول ومعايش فجاء النحاة بعده وطبّقوا هذه القاعدة على قراءة نافع وغيره)) (٨).

---

(١) البحر المحيط ٤٩٩/٢.

(٢) السبعة في القراءات ٢٧٨، والبحر المحيط ٢٧٠/٤، واتحاف فضلاء البشر ٤٤/٢.

(٣) سورة الأعراف، من الآية: ١٠.

(٤) معاني القرآن واعرابه ٣٢٠/٢.

(٥) المصدر نفسه ٣٢١/٢.

(٦) ينظر مثلاً: معاني القرآن للأخفش ٥١١/٢، وجامع البيان ٩٣/٨، واعراب القرآن للنحاس ٦٠٠/١، ومشكل إعراب القرآن ٣٨٤/١.

(٧) الكتاب ٣٥٥/٤.

(٨) سيبويه والقراءات ٨٧.

ثم يختم كلامه عن سيبويه بقوله: إنه ((فتح باب الطعن على هذه القراءة لكل من جاءَ بعده)) (١).

ولا أتفق مع الدكتور الأنصاري في هذه المسألة، إذ في كلامه تجريح بسيبويه وافتراء عليه، فليس في عبارة سيبويه المتقدمة ما يشير إلى أنه فتح باب الطعن على هذه القراءة؛ لأنّه وضع قاعدة لضبط الجمع على هذه الصيغة، أمّا أنها خالفت قراءة ربما لم يعرفها أو لم يقصد مخالفتها، فلا يعني هذا الطعن فيها، ومن غير الإنصاف أن نحمّل النصوص ما لا تحتمل، ولاسيما في مثل هذا الحكم الخطير.

ولا أدري لِمَ يُخطئ الزجّاج وغيره من العلماء هذه القراءة، وهي مروية عن جمع مشهود له بالفصاحة والثقة والأمانة ودقة الضبط، لذا نجد من العلماء من يدافع عنها ويحتج لها، قال أبو حيان: ((ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة... وجاء به نقل القراءة الثقات ابن عامر، وهو عربي صراح. وقد أخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل ظهور اللحن، والأعرج وهو من كبار قرّاء التابعين، وزيد بن علي وهو من الفصاحة والعلم بمكان الذي قلّ أن يباينه في ذلك أحد، والأعمش وهو من الضبط والإتقان والحفظ والثقة بمكان. ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحل الذي لا يجهل. فوجب قبول ما نقلوه إلينا، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا)) (٢).

أما الحجة في قراءة نافع فهي ((على وجه الغلط لأنّ القياس أن تكون غير مهموزة؛ لأنها جمع معيشة وهي (مفعلة) من العيش، فالياء عين الفعل، فوجب أن تصحح ولا تُعل، وتصحيحها أن تبقى باء، وإعلالها أن تقلب همزة، إلا أنهم شبهوها بما الياء فيه زائدة كسفينة، فهمزوها في الجمع، كما همزوا سفائن، وتشبيهها بها تشبيه غلط؛ لأن ياء معيشة أصل، وياء سفينة زائدة)) (٣).

٧- قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف فقاتلوا أئمة الكفر (٤) بتحقيق همزتي ((أئمة)) (٥)

ولا تجوز هذه القراءة عند الزجاج، إذ يقول: ((فأمّا النحويون فلا يجيزون اجتماع الهمزتين ههنا؛ لأنهما لا يجتمعان في كلمة)) (٦).

---

(١) المصدر نفسه ٨٨.

(٢) البحر المحيط ٤/٢٧١.

(٣) الموضح في وجوه القراءات وعللها ١/٥٢٢.

(٤) سورة التوبة، من الآية: ١٢.

(٥) السبعة في القراءات ٣١٢-٣١٣، والتيسير في القراءات السبع ١١٧، والنشر في القراءات العشر ١/٣٧٩-٣٨١، واتحاف فضلاء البشر ٢/٨٧.

(٦) معاني القرآن واعرابه ٢/٤٣٤.

وقال أيضاً: ((فأنما أئمة باجتماع الهمزتين، فليس من مذاهب أصحابنا، إلا ما يحكى عن ابن اسحاق فإنه كان يحب اجتماعهما وليسَ ذلك عندي جائزاً)) (١).

وما ذهب إليه الزجّاج هو رأي أغلب البصريين، قال سيبويه: ((ليسَ من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا)) (٢).

وذكر النحاس أنّ أكثر النحويين يذهبون إلى أنها لحن لا يجوز؛ لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة (٣). فالبصريون يستصعبون اجتماع الهمزتين، وفي (أئمة) عندهم لغة واحدة هي (أيِمة) بهمزة واحدة بعدها ياء (٤).

وما ذهب إليه أغلب البصريين غير صحيح؛ لأن اجتماع همزتين في كلمة واحدة جاءَ به قراءة متواترة قرأ بها ثقات مشهورين و ((أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغةٍ؛ لأنّ القراءة سنة متبعة فيلزم قبولها والمصير إليها)) (٥). فضلاً عن ذلك أنّ من العلماء من أجاز تحقيق الهمزتين في كلمة واحدة، قال الأخفش: ((جعلت الهمزة ياء لأنها في موضع كسر وما قبلها مفتوح، فلم يهمز لاجتماع الهمزتين، ومن كان من رأيه جمع الهمزتين همزةُ)) (٦). وقال ابن الحاجب: ((وقد صحّ التسهيل والتحقيق في أئمة)) (٧).

٨- قرأ حمزة والأعمش ((بِمُصْرخيِّ)) بكسر ياء الإضافة (٨) في قوله تعالى: ﴿ ما أنا بِمُصْرِخكم بِمُصْرِخكم وما أنتم بِمُصْرخيَّ ﴾ (٩).

والحجةُ في قراءة الجمهور ((بِمُصْرخيَّ)) إذ الأصل ((بمصرخيني)) سقطت النون للإضافة وادغمت الياء في الباء فاجتمع ساكنان، فحُرّكت الثانية بالفتح لأنها ياء المتكلم رُدت إلى أصلها (١٠).

(١) المصدر نفسه ٤٣٥/٢.

(٢) الكتاب ٥٤٩/٣.

(٣) اعراب القرآن للنحاس ٧/٢.

(٤) معاني القرآن واعرابه ٤٣٥/٢.

(٥) النشر في القراءات العشر ١٠/١-١١.

(٦) معاني القرآن للأخفش ٣٢٨/١.

(٧) شرح الشافية ٥٣/٣.

(٨) السبعة في القراءات ٣٦٢، والتيسير في القراءات السبع ١٣٤، واتحاف فضلاء البشر ١٦٨/٢.

(٩) سورة إبراهيم، من الآية: ٢٢.

(١٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢٦/٢.

أما كسر الياء على قراءة حمزة والأعمش فهي لغة من لغات العرب، قال بذلك جماعة من العلماء منهم ابن الانباري (١) وأبو حيان (٢) والآلوسي (٣).

لقد طعن الزجّاج في هذه القراءة فقال: ((هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف)) (٤).

ولم يكن الزجّاج وحده قد طعن في هذه القراءة بل شاركه كثير من العلماء، فرماها الفراء بالوهم قائلاً: ((لعلها من وهم القراء، فإنّه قلَّ من سَلِم منهم من التوهم)) (٥).

وأنكرها الأخفش – فيما نقله أبو حيان – قائلاً: ((ما سمعتُ هذا من أحد من العرب ولا من النحويين)) (٦).

ورماها النحاس بالشذوذ قائلاً: ((صار هذا إجماعاً، ولا ينبغي أن يحمل كتاب الله على الشذوذ)) (٧).

ووصفها مكي بن أبي طالب بالكراهة والبعد، فقال: ((فالقراءة بكسر الياء فيها بعد من جهة الاستعمال، وهي حسنة على الأصول لكن الأصل إذا طرح صار استعماله مكروهاً بعيدة)) (٨).

والقراءة ضعيفة عند الزمخشري (٩).

أمّا مؤيدو قراءة حمزة واللغة التي جاءت عليها والرادون على منكريها فأشدهم دفاعاً عنها واحتجاجاً لها أبو حيان، إذ ردّ على النحاة – لا سيما الزمخشري– كل عبارة قالها، مؤيداً أقواله بما روي عن القاسم بن معن، وهو من رؤساء النحويين الكوفيين وأبي عمرو بن العلاء وهو إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أنها صواب وجائزة وحسنة، ولذا فكلّ ما قاله النحاة في تضعيفها لا ينبغي أن يلتفت إليه (١٠).

(١) البيان في غريب اعراب القرآن ٢/٥٧.
(٢) البحر المحيط ٥/٤٢٠.
(٣) روح المعاني ١٣/٢١٠.
(٤) معاني القرآن واعرابه ٣/١٥٩.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٧٥.
(٦) البحر المحيط ٥/٤١٩.
(٧) اعراب القرآن للنحاس ٢/١٨٣.
(٨) مشكل اعراب القرآن ١/٤٠٤.
(٩) الكشاف ٢/٣٧٤.
(١٠) البحر المحيط ٥/٤١٩-٤٢٠.

ووصف البنا الدمياطي قراءة حمزة والأعمش بكسر الياء بأنها قراءة ((متواترة صحيحة، والطاعن فيها غالط، ونفي النافي لسماعها لا يدل على عدمها)) (١).

وبعد فلو أنّ النحاة المنكرين قالوا: إنّ قراءة الفتح أفصح من قراءة الكسر لكان أسلم لهم من

(١) اتحاف فضلاء البشر ١٦٨/٢.

الوقوع في اعتراض على قراءة صحيحة ومروية؛ لأنّ القراءة سنة متبعة لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة (١).

٩- قرأ حمزة ((اسطّاعوا)) بتشديد الطاء (٢) في قوله تعالى: ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ (٣).

خطّأ الزجاج قراءة حمزة هذه فقال: ((فأما مَنْ قرأ فما اسطّاعوا – بإدغام السين في الطاء... مخطئ زعم ذلك النحويون، الخليل ويونس وسيبويه، وجميع مَن قال بقولهم. وحجتهم في ذلك أن السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنة، ولا يجمع بين ساكنين)) (٤).

ولم يكن الزجّاج وحده قد طعنَ في هذه القراءة بل شاركه كثير من النحاة (٥) في معارضة هذه القراءة بحجة أنها تخالف القاعدة النحوية التي تمنع الجمع بينَ الساكنين في الوصل.

والوجه في قراءة حمزة ((أنَّ أصله استطاعوا فأدغم التاء في الطاء وهما متقاربان، ولم تنقل حركة التاء إلى السين بعد الإدغام، لئلا يحرّك ما لا يتحرك في موضع وهو سين (استفعل) فبقي (اسطّاعوا) بتشديد الطاء مع أنّ الساكن الذي قبل المدغم ليسَ بحرف مدّ)) (٦).

وقد دافع ابن الجزري عن قراءة حمزة وجوّز الجمع بين ساكنين في الوصل فقال: ((والجمع بينهما في مثل ذلك جائز مسموع... وممّا يقوي ذلك ويسوغه أنّ الساكن لما كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم ارتفاعة واحدة صار بمنزلة حرف متحرك فكأن الساكن الأول قد ولي متحركاً... فلا يجوز إنكاره)) (٧).

ولذلك يقول الدكتور أحمد مكي الأنصاري: ((يجوز الجمع بين الساكنين في الوصل في قوله تعالى (فما اسطّاعوا) بتشديد الطاء، لورودها في قراءة سبعية محكمة)) (٨).

---

(١) القراءات في المعجمات ٤٥٨.

(٢) السبعة في القراءات ٤٠١، والحجة في القراءات السبع ٢٣٢، والتيسير في القراءات السبع ١٤٦، والنشر في القراءات العشر ٣١٦/٢.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ٩٧.

(٤) معاني القرآن واعرابه ٢١٢/٣.

(٥) ينظر مثلاً: اعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٢، والتبيان في اعراب القرآن ١٠٩/٢، والجامع لأحكام القرآن ٤٣/١١.

(٦) الموضح في وجوه القراءات وعللها ٨٠٤/٢.

(٧) النشر في القراءات العشر ٣١٦/٢.

(٨) نظرية النحو القرآني ١٣٣.

١٠- قرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر (نجّي) بنون واحدة وتشديد الجيم (١) في قوله تعالى: ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك نُنْجي المؤمنين ﴾ (٢).

لقد رمى الزجّاج هذه القراءة باللحن فقال: ((فأما ما روي عن عاصم بنون واحدة فلحنٌ لا وجه له؛ لأنَّ ما لا يُسمَّى فاعله لا يكون بغير فاعل، وقد قال بعضهم: نُجّي النجاءُ المؤمنين وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم)) (٣).

وقد وصمَ هذه القراءة باللحن أيضاً الفراء (٤) وأبو علي الفارسي (٥). وهذه القراءة غير متمكنة متمكنة في العربية عند مكي بن أبي طالب (٦).

ولا حقَّ لهؤلاء العلماء برمي هذه القراءة باللحن، إذ إنّها قراءة سبعية متواترة قرأ بها أئمة ثقات، كما إنّ لها وجه في العربية فقد احتج لها ابن خالويه قائلاً: ((ولعاصم في قراءته وجه في النحو؛ لأنه جعل (نجّي) فعل ما لم يسمّ فاعله، وأرسل الياء بغير حركة؛ لأنّ الحركة لا تدخل عليها في الرفع، وهي ساقطة في الجزم، إذا دخلت في المضارع، وأضمر مكان المفعول الأول المصدر لدلالة الفعل عليه فكأنه قال: (وكذلك نُجي النجاءُ المؤمنين))) (٧).

وحمل بعض النحاة الآية على حذف النون تخفيفاً، وهو الذي نرجّحه، إذ الأصل فيه (ننجّي) بنونين ثم حُذفت الثانية. وهذا ما ذهب إليه الأخفش الصغير، جاء في (مشكل إعراب القرآن): ((وقال علي بن سليمان: هو في هذه القراءة فعل سمي فاعله وأصله نُنجّي بنونين وبالتشديد... لكن حذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التائين في (تفرقون) و (تظاهرون) وشبهه)) (٨).

واختار هذا الرأي النحاس (٩) وابن جني (١٠) وابن الجزري (١١) ورجحه الدكتور محمد عبد

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٠، والتيسير في القراءات السبع ١٥٥، والنشر في القراءات العشر ٢/٣٢٤.
(٢) سورة الأنبياء، من الآية: ٨٨.
(٣) معاني القرآن واعرابه ٣/٤٠٣.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٢١٠.
(٥) البحر المحيط ٦/٣٣٥.
(٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/١١٣.
(٧) الحجة في القراءات السبع ٢٥٠.
(٨) مشكل إعراب القرآن ٢/٤٨٢.
(٩) اعراب القرآن للنحاس ٢/٣٨١.
(١٠) روح المعاني ١٧/٨٦.
(١١) النشر في القراءات العشر ٢/٣٣٤.

القادر هنادي (١).

١١- قرأ الحسن البصري والأعمش (الشياطون) (٢) في قوله تعالى: ﴿ وما تنزَّلت به الشياطين ﴾ (٣).

لم يجوّز الزجّاج هذه القراءة فقال: ((وقرأ الحسن (الشياطون) وهو غلط عند النحويين، ومخالفة عند القراء للمصحف. فليس يجوز في قراءة ولا عند النحويين، ولو كان يجوز في النحو، والمصحف على خلافه لم تَجُز عندي القراءة به)) (٤).

ولم يكن الزجّاج وحده قد رفض هذه القراءة، بل يكاد يتفق علماء العربية المتقدمون على تخطئة قراءة (الشياطون) واتهام من قرأ بها بالغلط والوهم، فهذه القراءة غلط عند الفراء (٥) وأبي حاتم السجستاني (٦) والجاحظ (٧) والنحاس (٨) وابن جني (٩) والعكبري (١٠).

وحمل السلسيلي هذه القراءة على جهة التوهم، فقال: ((فأما مَن قرأ (على من تنزل الشياطون) فإنّه شبّه زيادتي التكسير في (الشياطين) بزيادتي الجمع السالم فنقلها من إعراب الحركات إلى إعراب الحروف. وهو من التشبيه البعيد الذي يقع نحوه منهم على جهة التوهم)) (١١).

وهذه القراءة المطعون فيها هي قراءة الحسن البصري، وقد قرأ (الشياطون) في ثلاثة مواضع من القرآن (١٢)، فضلاً عن ذلك أنه ((تمسك النقلة بروايته عن الحسن إذ كانت زلة لسان كان ينبغي أن يتراجع عنها فوراً، وهو أفصح الناس بشهادة معاصريه)) (١٣).

وقراءة (الشياطون) قراءة الأعمش أيضاً، وهو من الأئمة المشهورين والمشهود لهم بالثقة والأمانة، وحسن الدين والسيرة، وكمال العلم في القراءة والإقراء (١٤). وعليه لا يمكن الطعن في هذه

(١) ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم ٣٥٦.
(٢) البحر المحيط ٤٦/٧، واتحاف فضلاء البشر ٤١٠/١.
(٣) سورة الشعراء، من الآية: ٢١٠.
(٤) معاني القرآن واعرابه ١٠٣/٤.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢٨٥/٢.
(٦) البحر المحيط ٤٦/٧.
(٧) البيان والتبيين ٢١٩/٢.
(٨) اعراب القرآن للنحاس ٥٠٣/٢.
(٩) المحتسب ١٣٣/٢.
(١٠) التبيان في إعراب القرآن ٥٥/١.
(١١) شفاء العليل في إيضاح التسهيل ١٥٠/١.
(١٢) في (سورة البقرة، الآية: ١٠٢) و (سورة الانعام، الآية: ٧١) و (سورة الشعراء، الآية: ٢١٠). ينظر: اتحاف فضلاء البشر ٤١٠/١ و ١٧/٢ و ٣٢١/٢.
(١٣) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ١١٠.
(١٤) منجد المقرئين ٢٣.

القراءة وتخطئتها. لذا نجد من ينتصر لهذه القراءة ويحتج لها ويدافع عنها، جاء في (البحر المحيط): ((فقال النضر بن شميل: إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتجّ بقول الحسن وصاحبه، يريد محمد ابن السميفع، مع أنا نعلم أنهما لم يقرءا بها إلا وقد سمعا فيه. وقال يونس بن حبيب: سمعتُ اعرابياً يقول: دخلتُ بساتين من ورائها بساتون فقلت: ما أشبه هذا بقراءة الحسن. انتهى. ووجهت هذه القراءة بأنه لمّا كان آخره كآخر يبرين وفلسطين فكما أجرى إعراب هذا على النون تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا: يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون أجرى ذلك في الشياطين تشبيهاً به، فقالوا: الشياطين والشياطون، وقال أبو فيد مؤرج السدوسي: إن كان اشتقاقه من شاط، أي احترق يشيط شوطة كان لقراءتهما وجه. قيل ووجهها إنّ بناء المبالغة منه شياط وجمعه الشياطون... وقرأ الأعمش الشياطون كما قرأه الحسن وابن السميفع فهؤلاء الثلاثة من نقلة القرآن قرؤوا ذلك ولا يمكن أن يقال غلطوا لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان)) (١).

وقد نقل الآلوسي هذه الأقوال ثمّ عقّبَ عليها قائلاً: ((والذي أراه أنه متى صحّ رفع هذه القراءة إلى هؤلاء الأجلّة لزم توجيهها فإنهم لا يقرأون إلا عن رواية كغيرهم من القراء)) (٢).

وقد عدّ السيوطي (٣) (الشياطون) ملحقاً بجمع المذكر السالم.

١٢- قرأ الأعمش وحمزة (السَّيِّءْ) بسكون الهمز (٤) في قوله تعالى: ﴿ استكباراً في الأرضِ ومَكرْ السَّيِّءِ ﴾ (٥).

وقد لحّنَ الزجّاج هذه القراءة قائلاً: ((وهذا عند النحويين الحذّاق لَحْنٌ ولا يجوز)) (٦) والسبب هو حذف حركة الإعراب التي لا يجوز حذفها؛ لأنها مجتلبة للفرق بين المعاني (٧).

ولا حقّ للزجّاج فيما رمى به هذه القراءة باللحن لأنها قراءة سبعية متواترة قرأ بها حمزة، كما إنها اختيار الأعمش و ((ما ثبت بالاستفاضة أو التواتر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قرأه فلابد من جوازه)) (٨). ولأنَّ المبدأ العلمي الدقيق يقف إلى جانب السماع فيقول: مقياس الترجيح هو السماع الصحيح ولا

---

(١) البحر المحيط ٤٦/٧.

(٢) روح المعاني ١٣٣/١٩.

(٣) همع الهوامع ٤٦/١.

(٤) السبعة في القراءات ٥٣٥، والتيسير في القراءات السبع ١٨٢، والنشر في القراءات العشر ٣٥٢/٢، وإتحاف فضلاء البشر ٣٩٤/٢.

(٥) سورة فاطر، من الآية: ٤٣.

(٦) معاني القرآن واعرابه ٣٧١/٢.

(٧) اعراب القرآن للنحاس ٧٠٣/٢، والبحر المحيط ٣١٩/٧.

(٨) البحر المحيط ٣٢٠/٧.

ولا يجوز لنا أن نخطئ الوارد من الشواهد إذا خالف شيئاً من القواعد وكل الذي يمكن أن يقال: إنها قليلة أو مقصورة على السماع، أما أن نحكم عليها باللحن فذلك الذي لا يجوز كما يقول أبو حيان: ((وكثير من النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك)) (١). وقد علّل بعض العلماء هذه القراءة وحملوها على التخفيف أو على إجراء الوصل مجرى الوقف (٢).

١٣- خطّأ الزجّاج قراءة (وعباقريٍّ) (٣) في قوله تعالى: ﴿ مُتكئين على رفرفٍ خُضْرٍ وعبقريٍّ حسان ﴾ (٤)، فقال: ((وهذه القراءة لا مخرج لها في العربية؛ لأنّ الجمع الذي بعد ألفه حرفان نحو: مساجد ومفاتيح لا يكون فيه مثل: عباقري؛ لأنّ ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب)) (٥).

وهذه القراءة التي خطّأها الزجّاج مروية عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وعثمان – رضي الله عنهما – وبها أيضاً قرأ جماعة من القراء، منهم: نصر بن عاصم والحسن البصري وابن محيصن وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وزهير الفرقبي (٦).

وإذا كانت هذه القراءة مروية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فـ ((ليس لنا أن نتلقى قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا بقبولها والاعتراف لها)) (٧). فضلاً عن ذلك هناك من يحتج لهذه القراءة، القراءة، جاء في (الجامع لأحكام القرآن): ((ليس – أي عباقري – بمنسوب وهو مثل: كرسي وكراسي وبُختي وبخاتي)) (٨).

ويقول الدكتور عبد الرحمن مطلك الجبوري: ((ليس بعيداً أن يكون الاسم المنسوب إليه (عبقر) أو (عباقر)، وكلاهما مفرد، اسم موضع أو بلدة، فجاءت القراءة الأولى، قراءة الجمهور، (عبقريّ) نسبة إلى عبقر، والثانية (عباقريّ)، نسبة إلى عباقر)) (٩).

(١) المصدر نفسه ٢٧١/٤، وينظر: نظرية النحو القرآني ١٠٥.

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٧٠٣/٢، والبحر المحيط ٣١٩/٧.

(٣) معاني القرآن للفراء ١٢٠/٣، واعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٣.

(٤) سورة الرحمن، من الآية: ٧٦.

(٥) معاني القرآن واعرابه ١٠٤/١.

(٦) معاني القرآن للفراء ١٢٠/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣١٧/٣.

(٧) المحتسب ٣٠٦/٢.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١٧.

(٩) القراءات في المعجمات ٥٤٥.

الخاتمة

بعد أن تمَّ عرض نماذج – أحسبها ليست قليلة – من نقد الزجاج للقراءات القرآنية، يمكن أن نذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها:

١. لقد كان الزجاج جريئاً كل الجرأة في نقد القراءات القرآنية والطعن فيها، فوصم هذه القراءات باللَّحْنِ والخطأ والغلط والضعف والرداءة. وقال عن بعض القراءات: إنها لغة من لا يلتفت إليه ولا يتشاغل عنه، ولا يحب أن يُقرأ ببعض القراءات، ولا مخرج لبعضها عنده في العربية.

٢. لقد طال نقد الزجاج أغلب القراءات القرآنية منها السبعة المتواترة، كنقده لمواضع من قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر وأبي عمرو بن العلاء. ومنها الشاذة كنقده لمواضع من قراءة الحسن البصري والأعمش وزيد بن علي وقراءة بعض الصحابة والتابعين مع إن كل هذه القراءات التي نقدها لها وجه صحيح في العربية.

٣. وقد كان سبب نقد القراءات تمسك الزجاج وأصحابه البصريين بالقياس أكثر من السماع، ويتجلى هذا واضحاً عندما تتعارض القراءة القرآنية بالقاعدة النحوية، وكان على النحاة أن يجعلوا القاعدة وراء القرآن الكريم وقراءاته القرآنية – ولا سيما المتواترة منها – لا العكس.

٤. يرى الباحث أنّ الاستقراء الذي قام به اللغويون وبخاصة للقرآن الكريم وقراءاته كان ناقصاً؛ لذا فات على النحاة مواضع كثيرة كان ينبغي أن تترتب عليها قواعد نحوية، ولذا أُخْضِعَت النصوص القرآنية للقاعدة، والأصل العكس –كما ذكرتً –.

٥. إن القراءة سنّة متّبعة – وقد ذكر ذلك الزجّاج في أكثر من موضع من كتابه – ولا يقرأ حرف من القرآن على الأقيس في العربية والأفشى في اللغة؛ ولذلك فإنّ ما جاء من روايات وبخاصة القراءات المتواترة لا يمكن إنكارها أو نقدها بأوصاف لا تليق بالقرآن الكريم وبقراءاته، ولا سيما إنّ من العلماء من وجد لها وجهاً صحيحاً في العربية؛ لذا يجب على الدارسين والباحثين الوقوف حذرين من المواضع التي نقدها الزجاج وغيره من النحاة.

وبعد..

فلا نقول إلاّ عفا الله عن الزجاج وأصحابه البصريين وكل من تمسّك بالقياس مخالفاً القرآن الكريم وقراءاته – ولا سيما المتواتر منها – فماذا يحسبون أيتنزّل القرآن على قواعدهم ليوافقهم، أم يرتفعون إليه ليوافقوه، إذ هو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأخيراً..

فما كان لهذا البحث أن يستوي على سوقه لولا توفيق الله وفضله الذي تتمّ به الصالحات، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل هذا العمل بمنه وكرمه، وأن يجعله من العلم النافع الذي لا ينقطع أجره. والحمد لله في الأولى وفي الآخرة، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

مصادر البحث ومراجعه

١-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

٢-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر – أحمد بن محمد الدمياطي (ت ١١١٧ هـ)، تحقيق: الدكتور شعبان محمد إبراهيم، بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣-إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم – أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٤-إعراب القرآن – أبو جعفر النّحاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، دون تاريخ.

٥-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين –كمال الدين أبو البركات الانباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٨٢ م.

٦-البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، ط٢، دار الفكر، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

٧-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٨-البيان في غريب إعراب القرآن–كمال الدين أبو البركات الانباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م.

٩-البيان والتبيين – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.

١٠-التبيان في إعراب القرآن – أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.

١١-التفسير الكبير – فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١٢-التيسير في القراءات السبع – أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ)، عني بتصحيحه: توبرنزل، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

١٣–جامع البيان عن تأويل آي القرآن – أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، ط٤، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
١٤–الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
١٥–الحجّة في القراءات السبع – ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٩٧١ م.
١٦–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
١٧–السبعة في القراءات – أبو بكر أحمد بن موسى المعروف بابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢ م.
١٨–سيبويه والقراءات دراسة تحليلية معيارية – الدكتور أحمد مكي الانصاري، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م.
١٩–شرح التصريح على التوضيح – خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، دار إحياء الكتب العلمية، دون تاريخ.
٢٠–شرح شافية ابن الحاجب – رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٢١–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – بهاء الدين ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، مصر، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.
٢٢–شفاء العليل في إيضاح التسهيل–أبوعبد الله محمد بن عيسى السلسيلي (ت ٧٧٠ هـ)، تحقيق: الدكتور الشريف عبد الله بن علي الحسيني، ط١، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٦ م.
٢٣–طبقات اللغويين والنحاة – أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣ م.
٢٤–ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم – الدكتور محمد عبد القادر هنادي، ط١، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٢٥–الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري – الدكتور صاحب جعفر أبو جناح، مطبعة جامعة البصرة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٢٦-القراءات القرآنية في المعجمات اللغوية – الدكتور عبد الرحمن مطلك الجبوري، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠ م.
٢٧-الكامل في اللغة والأدب – أبو العباس المبِّرد (ت ٢٨٥ هـ)، مؤسسة المعارف، بيروت، دون تاريخ.
٢٨-كتاب سيبويه – أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ.
٢٩-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – جارالله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دون تاريخ.
٣٠-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها–مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.
٣١-اللهجات العربية في التراث–الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.
٣٢-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وصاحبيه، ط٢، دار سزكين للطباعة والنشر، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م.
٣٣-مشكل إعراب القرآن – مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٧٥ م.
٣٤-معاني القرآن – أبو الحسن الأخفش (ت ٢١٥ هـ)، ط٢، تحقيق: الدكتور فائز فارس، دار البشير، دار الأمل، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
٣٥-معاني القرآن – أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.
٣٦-معاني القرآن وإعرابه – أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبدة شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٣٧-المقتضب – أبو العباس المبّرد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، دون تاريخ.
٣٨-الممتع في التصريف – ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين بن قباوة، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.
٣٩-منجد المقرئين ومرشد الطالبين – ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

٤٠–الموضح في وجوه القراءات وعللها – أبو عبد الله الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (ت ٥٦٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي، ط١، جدة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٤١–النشر في القراءات العشر – ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، صححه وراجعه: علي محمد الضياع، مطبعة مصطفى محمد، مصر، دون تاريخ.

٤٢–نظرية النحو القرآني – الدكتور أحمد مكي الانصاري، ط١، دار القبلة، ١٤٠٥ هـ.

٤٣–همع الهوامع شرح جمع الجوامع – جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.